

جلس كل واحد منا في وسط المقعد (البنك) الذي حدده له المدرس الذي عرفنا على نفسه: أنه "الشيخ حسن"، وبدأ يتعرف علينا واحداً واحداً، وكل واحد يقول اسمه. كان "الشيخ حسن" يسأله عن أبيه وأعمامه وجده، حتى تأكدنا أنه يعرف جميع أهلنا، حتى أنني حين عرفت على نفسي أنني (أحمد إبراهيم الصالح) دعا الشيخ بصوت مرتفع، وقد رفع يديه إلى السماء (الله يجعلكم أبوك بالسلامة) فعرفت أنه يعرف أن أبي غائب ولا نعرف مكانه.

وبعد وقت ليس طويلاً أحضروا إلى فصلنا كميات من الكتب والدفاتر والأقلام والمحايات، وبدأ الشيخ يوزع علينا تلك الأغراض، كل واحد منا أخذ كتاب قراءة مليئاً بالصور الملونة الجميلة، وتحتها كتابة لا نعرف قراءتها بعد، وكتاب حساب، وجزء عمّ من القرآن وأعطى كل واحد منا خمسة دفاتر و (٥) أقلام ومحاية، غلاف الدفتر كان ذا لون أخضر وأحمر مرسوم عليه إشارة وكالة الأمم المتحدة - قسم التعليم - اليونسكو، وبدأ الشيخ يعرفنا على الأغراض التي أعطانا إياها، هذا كتاب القراءة، وهذا كتاب الحساب، هذه الدفاتر خبئوا ثلاثة منها عند أمهاتكم وسنخصص دفتراً للقراءة ودفتراً للحساب، كل يوم أحضروا الكتابين وجزء عمّ ودفترين، وقلماً، والممحاة، ثم بدأ يكتب لكل واحد منا اسمه على أغراضه بخط جميل، وبقلم حبر أسود في غاية الروعة والجمال.

انتهى اليوم الدراسي وأخذني محمد وابن عمي إبراهيم من يدي وانطلقنا عائدين إلى البيت، وقد حمل كل واحد منا حقيبته القماشية وقد ملئت بالقرطاسية. مرت الأيام تترى وقد بدأت أتعلم القراءة والكتابة والحساب، وبدأت أحفظ بعض قصار السور مثل باقي التلاميذ في الفصل. نذهب سوية للمدرسة ونخرج للفسحة حيث نلعب ونأكل السندويشات التي أعدتها لنا أمي المحشوة بالدقة أو بالفلفل المخروط، ونادراً ما تكون محشوة بالمربي، أحياناً كنا نشترى بنصف قطعة الخبز التي معنا من إحدى النسوة اللاتي يجلسن عند باب المدرسة شيئاً من اللبنة فننطلق ونحن نقضمها وليس هناك شيء ألد من طعمها الحامض.

نرجع للبيت نتغدى ثم يخرج محمود وحسن إلى مصنع خالي صالح، نقضي الوقت بين اللعب في الحارة وبين القراءة في كتب المدرسة والقيام بالواجبات التي طلب منا الأستاذ "الشيخ حسن" أداءها، أحياناً في الليل نجتمع حول طشت (طست) الغسيل بعد أن نغسله ونضع السراج وسطه، ويضع كل منا كتابه أو دفتره عليه وينحني وهو يجلس على الأرض ليكمل دراسته وأمي والباقون ممن لا يدرسون يجلسون إلى جوارنا يتحدثون.